

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة قريش

مكيّة، وهي أربع آيات.

تسميتها:

سميت سورة قريش تذكيرا لهم بنعم الله عليهم في مطلع السورة: لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ.

مناسبتها لما قبلها :

ترتبط السورة بما قبلها من وجهين :

- 1- كلتا السورتين تذكير بنعم الله على أهل مكة ، فسورة الفيل تشتمل على إهلاك علوهم الذي جاء لهدم البيت الحرام أساس مجدهم وعزهم، وهذه السورة تذكر نعمة أخرى اجتماعية واقتصادية، حيث حقق الله بينهم الألفة واجتماع الكلمة، وأكرمهم بنعمة الأمن والاستقرار، ونعمة الغنى واليسار والإمساك بمرام الاقتصاد التجاري في الحجاز، بالقيام برحلتين صيفا إلى الشام وشتاء إلى اليمن.
- 2- هذه السورة شديدة الاتصال بما قبلها، لتعلق الجار والمجور في أولها بآخِر السورة المتقدمة: لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ. أي لآلف قريش أي أهلك الله أصحاب الفيل، لتبقى قريش، ولذا كانتا في مصحف أبيّ سورة واحدة. ولكن في المصحف الإمام فصلت هذه السورة عن التي قبلها، وكتب بينهما: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

ج 30 ، ص: 413

ما اشتملت عليه السورة:

تضمنت هذه السورة المكية تعداد نعم الله العظمى على قريش أهل مكة، حيث جمع

الله كلمتهم، وحقق الألفة والتنام الشمل بينهم: لإيلاف قُرَيْشٍ ومكّنهم من التنقل وحرية التجارة إلى اليمن شتاء، وإلى الشام صيفاً، لتوفير الثروة والغنى: إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ.

وهيأ لهم في البلد الآمن الحرام نعمة الأمن والاطمئنان والاستقرار دون نزاع من أحد: فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ، وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ.

فضلها:

روى البيهقي في كتاب الخلافات عن أم هانئ بنت أبي طالب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «فضّل الله قريشا بسبع خصال: أني منهم، وأن النبوة فيهم، والحجابه والسقاية فيهم، وأن الله نصرهم على الفيل، وأنهم عبدوا الله عز وجل عشر سنين لا يعبده غيرهم، وأن الله أنزل فيهم سورة من القرآن، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. لإيلاف قُرَيْشٍ، إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ».

قال ابن كثير: وهو حديث غريب.

التذكير بنعم الله على قريش [سورة قريش (106): الآيات 1 الى 4]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ

(3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4)

ج 30 ، ص: 414

الإعراب :

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ اللَّامِ فِي «إِيْلَافٍ» إِمَّا مُتَعَلِّقَةٌ بِفِعْلِ
مَقْدَرٍ، تَقْدِيرُهُ: اِعْجَبُوا لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ، أَوْ مُتَعَلِّقَةٌ بِقَوْلِهِ: لِيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ
أَيَّ لِأَجْلِ هَذَا، أَوْ مُتَعَلِّقَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ آخِرُ سُورَةِ الْفِيلِ.
وَإِيْلَافِهِمْ: مَجْرُورٌ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ «إِيْلَافٍ» الْأُولَى، وَ «إِيْلَافٍ» مُصَدَّرٌ رِبَاعِيٌّ، وَهُوَ
أَلْفٌ يُؤَلَّفُ إِيْلَافًا. وَقُرِئَ «إِيْلَافِهِمْ» عَلَى أَنَّهُ مُصَدَّرٌ فِعْلٌ ثَلَاثِيٌّ، وَهُوَ (أَلْفٌ يَأْلَفُ
إِيْلَافًا).

وَقُرَيْشٍ إِنْ أَرَدْتَ بِهِ الْحَيَّ صِرْفَتَهُ، وَإِنْ أَرَدْتَ بِهِ الْقَبِيلَةَ لَمْ تَصْرَفْهُ.
وَرِحْلَةَ مُنْصُوبٌ لِأَنَّهُ مَعْمُولُ الْمَصْدَرِ الْمُضَافِ وَهُوَ إِيْلَافِهِمْ، مِثْلُ وَكَلُوا لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ
[البقرة 2 / 251] [الحج 22 / 40].

البلاغة :

الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ بَيْنَهُمَا طَبَاقٌ، وَكَذَلِكَ بَيْنَ جُوعٍ وَخَوْفٍ.
هَذَا الْبَيْتِ

الإضافة للتكريم والتشريف.

لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ وَقَوْلُهُ: لِيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ

تقديم ما حقه التأخير، والأصل: ليعبدوا ربَّ هذا البيت، لإيْلَافِهِمْ رحلة الشتاء
والصيف، فقدم الإيْلَافِ تذكيرًا بالنعمة.

جُوعٍ وَخَوْفٍ التَّنْكِيرُ لِبَيَانِ شِدَّتِهِمَا، أَيُّ جُوعٍ وَخَوْفٍ شَدِيدَيْنِ.
المفردات اللغوية:

لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ يُقَالُ: أَلْفٌ الشَّيْءِ إِيْلَافًا، وَأَلْفٌ إِيْلَافًا وَإِيْلَافًا، أَيُّ لُومَةٍ وَعَكْفٍ عَلَيْهِ، مَعَ

الأنس به وعدم النفور منه، قال الزمخشري: متعلق بقوله: لِيَعْبُدُوا أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين، ودخلت الفاء على لِيَعْبُدُوا لما في الكلام من معنى الشرط إذ المعنى: أن نعم الله عليهم لا تحصى، فإن لم يعبدوه لسائر نعمه، فليعبدوه لأجله. وَقُرَيْشٌ مجموعة القبائل من ولد النضر بن كنانة. منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبت بالسفن، شبهوا بها لأنها تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تعلق، وصغر الاسم للتعظيم. وقال أبو حيان: سموا بذلك لتجمعهم بعد التفرق، جمعهم قصي بن كلاب في الحرم، والتقريش: التجمع والالتزام. إيلافهم رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ أي بسبب إلفهم الارتحال إلى اليمن في الشتاء، وإلى الشام في الصيف كل عام، يستعينون بالرحلتين للتجارة على المقام بمكة، لخدمة البيت الذي هو فخرهم

ج 30 ، ص: 415

و مجدهم. والرحلة: ارتحال القوم، بشد الرحال للمسير. بَيَّتِ الكعبة. أَطْعَمَهُمْ وَسَّعَ لَهُمْ فِي الرِّزْقِ. مِنْ جُوعٍ مِنْ خَوْفٍ أي من أجل جوع وخوف. وَأَمَّنَهُمْ جعلهم في أمن وسلامة في الأموال والأنفس. مِنْ خَوْفٍ خوف أصحاب الفيل، أو التخطف في بلدهم ومسايرهم. وكان يصيبهم الجوع لعدم الزرع بمكة، وخافوا جيش الفيل.

سبب النزول: نزول الآية (1):

أخرج الحاكم وغيره عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَضَّلَ اللهُ قُرَيْشًا بِسَبْعِ خِصَالٍ»

الحديث المتقدم، وفيه:

نزلت فيهم سورة لم يذكر فيها أحد غيرهم: لإيلافِ قُرَيْشٍ.

التفسير والبيان:

لإيلافِ قُرَيْشٍ، إيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ أَي فلتعبد قريش ربها، شكرا له، لأجل إيلافهم (أي جعلهم يألفون، ويسر لهم ذلك) رحلتين: رحلة إلى اليمن شتاء لجلب العطور والبهارات الآتية من الهند والخليج، وكونها في الشتاء لأنها بلاد حارة، ورحلة إلى الشام في الصيف، لجلب الحبوب الزراعية، وكونها في الصيف لأنها بلاد باردة، وكانت قريش في مكة تعيش بالتجارة، ولولا هاتان الرحلتان لم يتمكنوا من المقام بها، ولولا الأمن بجوار البيت، لم يقدروا على التصرف، وكانوا لا يغار عليهم لأن العرب يقولون: قريش أهل بيت الله عز وجل. وكل هذا الاحترام والإجلال لقريش أهل مكة من الله عز وجل الذي هيأه لهم بواسطة البيت الحرام، فكان عليهم الإقرار بهذه النعمة، وإفراد الله بالعبادة والتعظيم.

وصريح محمد بن إسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أن هذه السورة متعلقة

ج 30 ، ص: 416

بما قبلها لأن المعنى عندهما: حبسنا عن مكة الفيل، وأهلكنا أهله لإيلاف قريش، أي لائتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمين.

وعلى كل حال فهاتان نعمتان: نعمة صد أصحاب الفيل، ونعمة جوار البيت الحرام والائتلاف فيه، فإن لم يعبدوا الله لسائر نعمه، فليعبدوه لهاتين النعمتين. وقد عرّفهم سبحانه بأنه ربّ هذا البيت، بالرغم من أوثانهم التي يعبدونها حول الكعبة، فميّز نفسه عنها، وبالبيت تشرفوا على سائر العرب، وهم يدركون هذا ويقرّون به. وكانت الإشارة إلى البيت في السورة لإفادة التعظيم.

قال الرازي رحمه الله عند قوله تعالى: لِيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ: اعلم أن الإنعام على قسمين: أحدهما- دفع الضرر، والثاني- جلب النفع، والأول أهم وأقدم، ولذلك قالوا: دفع الضرر عن النفس واجب، أما جلب النفع، فإنه غير واجب، فلهذا السبب بين الله تعالى نعمة دفع الضرر في سورة الفيل، ونعمة جلب النفع في هذه السورة، ونظرا لهاتين النعمتين العظيمتين أمرهم ربهم بعبادته والعبودية له وأداء الشكر على ذلك: لِيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ

« 1 » .

والعبادة: هي التذلل والخضوع للمعبود على غاية ما يكون، وهي تحقق معنى العبودية. ثم ذكر الله تعالى نعماً أخرى على قريش، وصف بهمارب هذا البيت، فقال: - الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ أَي هُوَ رَبُّ الْبَيْتِ، وَهُوَ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَوَسَّعَ لَهُمْ فِي الرِّزْقِ وَيَسَّرَ لَهُمْ سَبِيلَهُ، بِسَبَبِ هَاتَيْنِ الرَّحْلَتَيْنِ، فَخَلَّصَهُمْ مِنْ جُوعٍ شَدِيدٍ كَانُوا فِيهِ قَبْلَهُمَا.

(1) تفسير الرازي: 107 / 32

ج 30 ، ص: 417

- وَأَمْنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ أَي وَتَفَضَّلَ عَلَيْهِمُ بِالْأَمْنِ وَالِاسْتِقْرَارِ، فَلِيَفْرُدُوهُ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا يَعْبُدُوا مِنْ دُونِهِ صَنَمَا وَلَا نِدَا وَلَا وَثْنَا، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَهَذَا مِنْ اسْتِجَابِ لِهَذَا الْأَمْرِ، جَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ أَمْنِ الدُّنْيَا وَأَمْنِ الْآخِرَةِ. وَمِنْ عَصَاهُ سَلْبَهُمَا مِنْهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً، يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ، فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ

بما كانوا يصنعون. وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ، فَكَذَّبُوهُ، فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ
[النحل 112-113] « 1 » .

و كانت العرب يغير بعضها على بعض، ويسبي بعضها بعضا، فأمنت قريش كما
تقدم من ذلك لمكان الحرم، كما آمنهم من خوف الحبشة مع الفيل قال الله تعالى: أَوَلَمْ
يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا، وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ؟
[العنكبوت 29 / 67].

فقه الحياة أو الأحكام:

أمر الله تعالى في هذه السورة قريشا وهم أولاد النضر بن كنانة بعبادة وتوحيد ربهم
الذي أنعم عليهم بهذه النعم الكثيرة ومنها:

- 1- إهلاك أصحاب الفيل وصددهم عن مكة ، كما أهلكوا أيضا لأجل كفرهم، وفي
هذا دفع لضرر عظيم مؤكد الحصول لولا عناية الله وحمائته، وتوفير أيضا للأمن
والسلامة والاطمئنان بجوار البيت الحرام.
- 2- نعمة الرزق وتوفير الحاجة والكفاية بسبب ارتحالهم إلى اليمن شتاء وإلى الشام
صيفا لجلب مختلف أنواع التجارات من الأطعمة والثياب، مع أمنهم من إغارة العرب
عليهم لأنهم أهل بيت الله وجبرانه.

(1) تفسير ابن كثير: 4 / 553

ج 30 ، ص: 418

- 3- نعمة الأمن من المخاوف، سواء في داخل مكة حيث جعل الله لهم مكة بلدا

أمناء، ويتخطف الناس من حولهم، أو في خارجها عند ما يتنقلون للتجارة والكسب.
والكسب.

4- نعمة وجود البيت الحرام أو الكعبة المشرفة محل التعظيم والتقديس من العرب،
وأساس مجدهم وعزهم، فإنهم شرفوا بالبيت على سائر العرب، فذكّرهم الله بهذه النعمة.
والخلاصة: إن نعم الله عليهم لا تحصى، فإن لم يعبدوه لسائر نعمه، فليعبدوه لهذه
النعمة الظاهرة وهي إيلافهم رحلتين.

روى ابن أبي حاتم عن أسماء بنت يزيد بن السكن أم سلمة الأنصورية، قالت: سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ويل لكم قريش: لإيلاف قريش» .

و

روى عنها أيضا: قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لإيلاف قريش، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ويحكم يا معشر قريش، اعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمكم من جوع، وآمنكم من خوف».
واستدل الإمام مالك بالسورة على أن الزمان قسمان: شتاء وصيف، ولم يجعل لهما
ثالثا، فالشتاء نصف السنة، والصيف نصفها.
واستدل العلماء بهذا أيضا على جواز تصرف الرجل في الزمانين بين محلين، يكون
حاهما في كل زمان أنعم من الآخر، كالجلوس في المجلس البحري في الصيف، وفي
القبلي في الشتاء، وفي اتخاذ أدوات التبريد صيفا، ووسائل الدفء شتاء.
شتاء.

ج 30 ، ص: 419

